نعمـــة غير مترقبـــة

لست من المتفائلين ، كما أني لست من المتشائمين ، وإنما أنا أبتهج حين أجد ما يدعو إلى الابتهاج ، وأكتئب حين أجد ما يدعو إلى الاكتئاب ! . . غير أن ما حدث لي في هذا اليوم يدعو حقاً إلى التفاؤل .. وإن كنت قد سمعت بالنعمة الغير مترقبة . والرزق الذي لم يكن محتسباً ، فهو ما حدث لي في هذا اليوم وهو اليوم المصادف ١٩٥١/١/١

فقد خرجت في الساعة الثامنة صباحا قاصدا صديقي الأديب الأستاذ عبد المنعم العجيل ، ولم أكد أجتاز منزلي بضع خطوات ، وإذا بصديقي — الذي كنت أقصده — يقف أمامي بسيارة ، يتعجلني الركوب !. ولما استقر بي الجلوس سألته عن الخبر : فأجاب بأنه قد دعى أفراد البعثة العلمية العراقية التي تزور الكويت — إلى حفلة شاي في المطار . ثم أردف قائلا : ما رأيك في هذه الفكرة ؟ : فقلت — :

« على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم »

فضحك ! . . ثم أمر السائق أن يقصد بعض الأصدقاء من الأدباء ، ليشتركوا معنا في هذه الدعوة بحضورهم . ثم قصدنا مقر الضيوف الكرام ، وبعد التعارف بهم ، مضينا جميعا إلى المطار . . وبعد أن تناولنا ما أعد لنا من الفاكهة وغيرها ... التقطت لنا بعض التصاوير التذكارية ، ولما انتهينا من ذلك كله ، قام الأستاذ عبد المنعم العجيل ، وألقى كلمة مرتجلة قال في بعضها : « إني لم أقم بهذه الحفلة ، إلا لكي أنور إخواني — أبناء وطني الأول — العراقيين ، عن حقيقة اخواني — أبناء وطني الثاني — الكويتيين . . وأمحو عن أذهانهم ما يشيعه بعض المغرضين عن الكويت والكويتيين . وأذكرهم بأن لهذا البلد الذي يزورونه الآن أمانة في أعناقهم ، وهي أن ينوروا إخواننا العراقيين عن الحقائق التي لمسوها ورأوها وسمعوها بأنفسهم . . » وبعد الانتهاء من كلمته دعاني لإلقاء كلمة مناسبة . فقمت ، وتشكرت منه ، ورحبت بالزائرين الكرام ، ولما كنت قد سمعت أنهم عازمون على السفر بعد ساعات ، استشهدت بهذه الأبيات :

بأبي من زارني مكتتما
حـــذراً من كل واش فزعا
طارقاً نم عليـــه نوره
كيف يخفى الليـــل بدراً طلعا
راقب الفرصـة حتى أمكنت
ورعى الســامر حتى هجعا
كابد الأهـوال في زورته
« ثم ما ســـلم حتى ودعا »

ثم ناشدتهم أن ينشروا ما شاهدوا ويشاهدون في الكويت في الصحف العراقية ، وبعد الانتهاء من كلمتي قام أحد أفراد البعثه ، وألقى كلمة مختصرة شاكراً الحفاوة التي لاقوها من الكويتيين عامة وإدارة المعارف خاصة . وبعد ذلك رجعنا إلى مقر الضيوف الكرام . . وبعد ظهر اليوم نفسه رافقنا هذه البعثه في الدعوة التي وجهتها إليهم إدارة المعارف لمشاهدة بعض القرى الساحلية وغيرها كالأحمدي وميناء الفحيحيل . . وهكذا أنفقنا ذلك اليوم الجميل نتساقى كؤوس الأحاديث العذبة مع هـذه الصفوة من إخواننا العراقيين . . وقد حق للأخ عبد المنعم أن يقول في هذا النهار — من قصيدة حديثة له — :

يا نهاراً مر ، كالحلم بأجفان العذارى ! !
كنت نوراً لفؤادي — يا ترى — أم كنت نارا ؟ !
أنت نور ، لك من نور « ابنة النور » ازدهارا
أنت نار ، حين ذاك النور عن عيني توارى .

* * *

يا نهاراً أشرقت لي فيـــه شمس الأمنيات
فأزالت دامس الأوهـــام من أفق حيـــاتي
وأثارت لي من المـــاضي ، دفين الذكريات
بعد أن كن رميما ، من حطـــام ورفات !

* * *

يا نهـــاراً مر ، هل من عودة أخرى إليا ؟
هل يمن الدهر في مثلك بالعمر عليـــا ؟
فيعود العيش حلواً ، باسماً ، طلق المحيـــا .
ويعود « الأمل » الضـــائع من بين يديا !

الكويت — عبد الرزاق البصير